

اغتنام عهد التسبب في بناء الذات

إتقان العبادة وإتقان العمل

مَجْمَعٌ دَرَسِيٌّ
مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ
أَبِي عَبْدِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الرَّسْلَانِ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

أَهْمِيَّةُ مَرَحَلَةِ الشَّبَابِ

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْبَرَ عَنِ سَعَةِ عِلْمِهِ وَعَظِيمِ اقْتِدَارِهِ وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ، ابْتَدَأَ خَلْقَ
 الْإِنْسَانِ مِنَ الضَّعْفِ، وَهُوَ الْأَطْوَارُ الْأُولَى مِنْ خَلْقِهِ مِنْ نُطْفَةٍ إِلَى عُلُقَةٍ إِلَى مُضْغَةٍ إِلَى
 أَنْ صَارَ حَيَوَانًا فِي الْأَرْحَامِ إِلَى أَنْ وُلِدَ، وَهُوَ فِي سِنِّ الطُّفُولِيَّةِ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ فِي غَايَةِ
 الضَّعْفِ وَعَدَمِ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ، ثُمَّ مَا زَالَ اللَّهُ يَزِيدُ فِي قُوَّتِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى بَلَغَ سِنَّ
 الشَّبَابِ، وَاسْتَوَتْ قُوَّتُهُ، وَكَمَلَتْ قُوَّاهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ هَذَا الطَّوْرِ
 وَرَجَعَ إِلَى الضَّعْفِ وَالشَّيْبَةِ وَالْهَرَمِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ
 ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ
 الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] (١).

اللَّهُ - تَعَالَى - هُوَ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ، وَأَنْشَأَكُمْ عَلَى ضَعْفٍ حَالِ
 الطُّفُولَةِ، ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ فِيكُمْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفِ الطُّفُولَةِ شَيْئًا مِنَ الْقُوَّةِ النَّسِيئَةِ الَّتِي
 تَتَدَرَّجُ مُتصَاعِدَةً حَتَّى تَبْلُغُوا كَمَالَ قُوَّتِكُمْ، وَهِيَ قُوَّةُ الشَّبَابِ، ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ بَعْدَ
 هَذِهِ الْقُوَّةِ ضَعْفَ الْكِبَرِ وَالْهَرَمِ وَضَعْفَ الشَّيْخُوخَةِ وَالشَّيْبِ، فَتَنَاقَصَ لَدَيْكُمْ
 هَذِهِ الْقُوَّةُ تَدْرِيجِيًّا حَتَّى تَصِلَ إِلَى تَمَامِ الضَّعْفِ وَنَهَايَةِ الْكِبَرِ إِذَا كُنْتُمْ مِنْ

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص ٦٤٤-٦٤٥).

الْمُعَمَّرِينَ، أَوْ تَوَافِيكُمْ مَنَائِكُمْ قَبْلَ ذَلِكَ.

يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ خَلْقَهُ؛ مِنْ الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ، وَالشَّبَابِ وَالشَّيْبَةِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ
بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ، الْقَدِيرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَشَاءُوهُ. (*)

إِنَّ مَرَحَلَةَ الشَّبَابِ مَرَحَلَةُ الْقُوَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ
نِعْمَةُ الصِّحَّةِ، فَفِي نُصُوصِ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الصِّحَّةِ وَفَضْلِ
الْعَافِيَةِ، وَجَلَالَ ذَلِكَ؛ لِجَمِيلِ أَثَرِهِ، وَلِعَظِيمِ قَدْرِهِ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عِنْدَ
الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ.

لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ طَالُوتَ مَلِكًا مَبْعُوثًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ
دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ الْقَوْمُ: إِنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزْ عَلَيْنَا بِكَثِيرِ مَالٍ، وَلَا بِشَيْءٍ، فَقَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

فَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمِيزَةَ مَحْفُوظَةً لَدَيْهِ بِأَنْ آتَاهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ،
وَبَسْطَةً فِي الْجِسْمِ.

فَاتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِلْمًا، وَآتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَيْدًا وَقُوَّةً، آتَاهُ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ صِحَّةً فِي تَمَامِ إِيْمَانِهِ؛ فَجَعَلَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- ذَلِكَ سَبَبًا لِتَفْضِيلِهِ
عَلَيْهِمْ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَرَضُوا عَلَى تَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَخْبَرَنَا -أَيْضًا- أَنَّ بِنْتَ شُعَيْبٍ لَمَّا صَحِبَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى أَبِيهَا، قَالَتْ فِي حَيْثِيَّاتِ تَقْدِيمِهِ مُسْتَأْجِرًا عِنْدَ أَبِيهَا؛ لِكَيْ تَتَخَلَّصَ مِنْ عَنَاءِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سورة الروم:

الرَّعْيِ وَالسَّقْيِ؛ لِأَنَّ أَبَاهَا كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، فَلِذَا خَرَجَتْ وَأُخْتَهَا؛ مِنْ أَجْلِ الرَّعْيِ وَالسَّقْيِ، وَالْقِيَامِ عَلَى أُمُورِ الْحَيَاةِ بِطَلَبِ الْمَعَاشِ.

أَرَادَتْ أَنْ تَرْتَاخَ، فَوَجَدَتْ فِي مُوسَى عليه السلام بُغْيَتَهَا، فَمَا هِيَ الْحَيْثِيَّاتُ الَّتِي قَدَّمْتَهَا لِأَبِيهَا؟

قَالَتْ: ﴿يَتَأَبَّتْ أَسْتَعِجْرُهُ إِنْ خَيْرَ مَنْ أَسْتَعَجَرْتُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

فَجَاءَتِ الْقُوَّةُ، وَجَاءَتِ الصَّحَّةُ - أَيْضًا - فِي هَذِهِ الْحَيْثِيَّاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ الْجَلِيلِ. (*)

وَقَدْ جَعَلَ نَبِيْنَا عليه السلام مَنْزِلَةَ الشَّابِّ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي يَخْدُمُ دِينَهُ وَوَطَنَهُ تَالِيَةً لِمَنْزِلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظْلَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، قَالَ عليه السلام: «سَبْعَةٌ يُظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّبَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ! وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْمُحَاضِرَةِ الرَّابِعَةِ: «فُضِّلَ الصَّحَّةُ وَالْعَافِيَّةُ» - مِنْ سِلْسِلَةِ: «رِحْلَةُ الْمَرَضِ وَفُضِّلَ الْعَافِيَّةُ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٢/ ١٤٣، رَقْمُ ٦٦٠)، وَمُسْلِمٌ: (٢/ ٧١٥، رَقْمُ ١٠٣١)، مِنْ

حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

دَلَالِلُ الْإِهْتِمَامِ بِالشَّبَابِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

لَقَدْ اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ بِالشَّبَابِ اهْتِمَامًا كَبِيرًا، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا وَاصِفًا فِتْيَةَ الْكَهْفِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

نَحْنُ بِعِظْمَةِ رُبُوبِيَّتِنَا وَشُمُولِ عِلْمِنَا نَقْرَأُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَبْرَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ذَا الشَّانِ، مُتَّصِفًا بِأَنَّهُ حَقٌّ ثَابِتٌ، إِنَّهُمْ شَبَابٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَزِدْنَاهُمْ بِمَعُونَتِنَا وَتَوْفِيقِنَا إِيمَانًا وَبَصِيرَةً.

وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْفِتْيَانَ الشَّبَابَ أَسْرَعُ اسْتِجَابَةً لِنِدَاءِ الْحَقِّ، وَأَشَدُّ عَزْمًا وَتَضَحِيَّةً فِي سَبِيلِهِ.
* وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

ضَرُورَةُ الْإِهْتِمَامِ بِتَرْبِيَةِ الشَّبَابِ؛ لِأَنََّّهُمْ أَزْكَى قُلُوبًا، وَأَنْقَى أَفْنِدَةً، وَأَكْثَرُ حِمَاسًا، وَعَلَيْهِمْ تَقُومُ نَهْضَةُ الْأُمَّمِ.

وَقَدْ جَمَعَ الشَّبَابُ بَيْنَ الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالتَّزَامِ ذَلِكَ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ مَعْرِفَتِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَزِيَادَةِ الْهُدَى مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- لَهُمْ. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الكهف: ١٣].

إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَجَاهَدُوا دُونَهُ وَانْتَصَرُوا بِهِ وَلَهُ، يَجِدُهُمْ فِي الْجُمْلَةِ كَانُوا شَبَابًا، أَبُو بَكْرٍ دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَلَهُ سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَعُمَرُ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَعُثْمَانُ كَانَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ، وَكَانَ عَلِيٌّ فِي الثَّامِنَةِ مِنْ عُمُرِهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِينَ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَلَهُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَلَهُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ كَانَ فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ.

وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ كَانَ فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ، وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ كَانَ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ كَانَ فِي الثَّاسِعَةِ عَشْرَةَ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَلَهُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَصُهَيْبُ الرُّومِيُّ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ دُونَ الْعِشْرِينَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ دُونَ الْعِشْرِينَ، وَخَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ وَالْعِشْرِينَ، وَمُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ كَانَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ.

وَالْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ كَانَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ، وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِينَ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ فِيمَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَتْ سِنُهُ حِينَمَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ فِي حُدُودِ الثَّانِيَةِ وَالْأَرْبَعِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -.

وَمِمَّا لَا يَخْفَى أَنَّ سِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِطْرَةَ، وَأَيَّامَهُ النَّصْرَةَ، شَاهِدَةٌ عَلَى اهْتِمَامِهِ
بِالشَّبَابِ، وَرِعَايَتِهِمْ، وَتَعْلِيمِهِمْ، وَتَوْجِيهِهِمْ، وَحِرْصِهِ عَلَى الْحَوَارِ مَعَهُمْ،
وَتَأْهِيلِهِمْ لِلْقِيَادَةِ؛ فَتَرَاهُ ﷺ يُدْنِيهِمْ، وَيُقَرِّبُهُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ؛ حَتَّى يَكْتَسِبُوا الْعِلْمَ
وَالْخُبْرَةَ وَالْحِكْمَةَ، وَحَتَّى يَكُونُوا عَلَى إِدْرَاكِ كَامِلٍ وَوَعْيٍ حَقِيقِيٍّ بِالْأَحْدَاثِ مِنْ
حَوْلِهِمْ، ثُمَّ يَمْنَحُهُمْ ﷺ الثِّقَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيُكَلِّفُهُمْ بِتَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ.

فَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَتَكَلَّمَ مِنْ شَبَابِ الْمُهَاجِرِينَ
الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ
لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ». أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ
فِي «السِّيَرَةِ»^(١) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَبِنَحْوِهِ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»^(٢).

وَمِنْ شَبَابِ الْأَنْصَارِ تَكَلَّمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا: «وَاللَّهِ لَكَانَكَ تُرِيدُنَا يَا
رَسُولَ اللَّهِ؟».

قَالَ: «أَجَلٌ».

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيَرَةِ»: (١/٦١٥)، وَابِالْبَيْهَقِيِّ فِي «الدَّلَائِلِ»: (٣/٣١-٣٤ وَ١٠٧).

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: (٧/٢٨٧، رَقْم ٣٩٥٢) وَ(٨/٢٧٣، رَقْم ٤٦٠٩)، مِنْ حَدِيثِ:
ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: شَهِدْتُ مِنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لِأَنَّ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ
قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنَّا نَقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ
يَدَيْكَ وَخَلْفِكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهَهُ وَسَرَّهُ.

قَالَ: «فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَائِقِنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَاْمُضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَا مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوْنَا غَدًا، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ».

فَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَطَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «سِيرُوا وَأَبْشِرُوا». أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيَرَةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (١). (*)



(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة»: (١ / ٦١٥)، والطبري في «تاريخ الرسل والملوك»: (٢ / ٤٣٥)، والبيهقي في «الدلائل»: (٣ / ٣٤).

وأصله في صحيح مسلم: (٣ / ١٤٠٣ - ١٤٠٤، رقم ١٧٧٩)، من حديث: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخْضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا... الحديث.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «دَوْرُ الشَّبَابِ فِي بِنَاءِ الدُّوَلِ وَالْحَضَارَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ

صَفَرٍ ١٤٤٠هـ | ٢-١١-٢٠١٨م.

اِغْتِنَامُ عَهْدِ الشَّبَابِ بِالْعِبَادَةِ وَالْعَمَلِ

لَقَدْ خَصَّ دِينُنَا الْحَنِيفُ عَهْدَ الشَّبَابِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْعِنَايَةِ وَالِاهْتِمَامِ، وَتَبَّهَ عَلَى دَوْرِهِ فِي بِنَاءِ الذَّاتِ وَتَكْوِينِهَا؛ فَالشَّبَابُ رِبْعُ الْحَيَاةِ وَالْعُمْرِ، وَعَهْدُ اِكْتِمَالِ الْبِنَاءِ الْجَسَدِيِّ وَالنُّضْجِ الْعَقْلِيِّ.

وَقَدْ حَثَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى اِغْتِنَامِ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْمُهَيِّمَةِ مِنْ مَرَاجِلِ الْعُمْرِ بِالْعَمَلِ وَالْعَطَاءِ، وَالتَّزْوُدِ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ لِأَنْفُسِنَا وَدِينِنَا وَمُجْتَمَعِنَا؛ لِتَحْقِيقِ سَعَادَتِنَا وَمَا فِيهِ خَيْرُنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ ﷺ: «اِغْتِنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفِرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعْبِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «قَصْرِ الْأَمَلِ» ضَمَّنَ مُوسُوْعَةُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا الْحَدِيثَ: (٥/ ٥٨، رَقْمُ ١١١)، وَالْحَاكِمُ فِي «المستدرک»: (٤/ ٣٠٦، رَقْمُ ٧٨٤٦)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعْبِ الْإِيْمَانِ»: (١٢/ ٤٧٦ رَقْمُ ٩٧٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. قَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وَالْحَدِيثُ صَحِيحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (٣/ ٣١١، رَقْمُ ٣٣٥٥)، وَرَوَى عَنْ عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ مَرْسَلًا، بِمِثْلِهِ، وَانظُرْ: «شُعْبِ الْإِيْمَانِ»: (١٢/ ٤٧٦ - ٤٧٨).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الشَّبَابَ نِعْمَةٌ كَغَيْرِهَا مِنَ النِّعَمِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ سَيُسْأَلُ عَنْهَا
 أَمَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ
 رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ؛ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ
 مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ رِوَايَةِ
 ابْنِ مَسْعُودٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ. (*)

وَلَمْ يَأْمُرْنَا الشَّرْعُ الشَّرِيفُ بِمُجَرَّدِ اِعْتِنَامِ عَهْدِ الشَّبَابِ بِالْعِبَادَةِ وَالْعَمَلِ، إِنَّمَا
 أَمَرْنَا -كَذَلِكَ- بِالِاتِّقَانِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّمْيِيزِ فِيهِمَا؛ حَيْثُ يَقُولُ الْحَقُّ -سُبْحَانَهُ-:
 ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾
 [القصص: ٧٧] ❁

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(٣). (*) (٢/).



(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: (٤/ ٦١٢، رَقْم ٢٤١٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ
 وَالتَّرْهيبِ»: (١/ ١٦٢، رَقْم ١٢٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دَوْرُ الشَّبَابِ فِي بِنَاءِ الدُّوَلِ وَالْحَضَارَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ
 صَفَرٍ ١٤٤٠هـ | ٢-١١-٢٠١٨م.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٩٥٥)، مِنْ حَدِيثِ: شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) (٢/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَى ١٤٣٧هـ: «فَوَائِدُ مِنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ» - الْاِثْنَيْنِ
 ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ | ١٢-٩-٢٠١٦م.

الإِتْقَانُ فِي الْعِبَادَةِ

إِنَّ الْمُسْلِمَ مُطَالِبٌ بِالإِتْقَانِ فِي أَعْمَالِهِ التَّعْبُدِيَّةِ وَالْمَعَاشِيَّةِ؛ إِحْكَامًا وَإِكْمَالًا، تَجْوِيدًا وَإِحْسَانًا، إِنَّ الإِتْقَانَ فِي الْعِبَادَةِ يَكُونُ بِأَدَائِهَا أَدَاءً صَاحِحًا، وَإِتْمَامَ شُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَاسْتِيفَاءِ سُنَنِهَا وَأَدَابِهَا، وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى الإِتْقَانِ فِي الْعِبَادَاتِ:

* الإِتْقَانُ فِي الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، وَثَمَرَتُهُ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا - يَشْكُ سَهْلٌ - يُحْسِنُ فِيهِنَّ الذِّكْرَ وَالْخُشُوعَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ غُفْرًا لَهُ»^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٦ / ٤٥٠)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الْأَحَادِ وَالْمِثَانِي»: (٤ / ٨٣)، وَرَقْمُ (٢٠٤٠)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»: (٥ / ١٨٦)، وَرَقْمُ (٥٠٢٦).
وَالْحَدِيثُ صَحِّحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (٧ / ١١٧٧)، وَرَقْمُ (٣٣٨٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ٢٣٨)، وَرَقْمُ (٩٠٥).

وَالْحَدِيثُ صَحِّحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (١ / ٢١٠)، وَرَقْمُ (٢٢٨).

وَفِي رِوَايَةٍ (١): «مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ بِقَلْبِهِ وَيَبُوجُّهُ عَلَيْهِمَا إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». قَالَ الأَلْبَانِيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله خُدَّامَ أَنْفُسِنَا، نَتَنَاوَبُ الرِّعَايَةَ -رِعَايَةَ إِبِلِنَا-، فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةَ الإِبِلِ، فَرَوَّحْتُهَا بِالْعَشِيِّ، فِإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَخْطُبُ النَّاسَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَيَبُوجُّهُ إِلَّا قَدْ أُوجِبَ - أَيْ: أَتَى بِمَا يُوجِبُ لَهُ الْجَنَّةَ-».

فَقُلْتُ: «بَخٍ بَخٍ، مَا أَجُودَ هَذِهِ!!». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَغَيْرُهُمْ.

وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ (٢)؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فِي صَلَاتِهِ، فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ إِلَّا انْفَتَلَ وَهُوَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». الْحَدِيثَ. وَقَالَ: «صَحِيحُ الإِسْنَادِ».

وَفِي حَدِيثِ عُثْمَانَ رضي الله عنه عِنْدَ مُسْلِمٍ (٣): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا

(١) لِأَبِي دَاوُدَ أَيْضًا فِي «السُّنَنِ»: (رَقْم ٩٠٦).

(٢) «المستدرک»: (٢ / ٣٩٩، رَقْم ٣٥٠٨).

قَالَ الْحَاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسْنَادِ»، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»:

(١ / ١٩٥، رَقْم ١٩٠).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (١ / ٢٠٦، رَقْم ٢٢٨).

إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ.

وَفِي حَدِيثِ عِبَادَةِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَ اللَّهُ، مَنْ أَحْسَنَ وَضُوعَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِيَوْقِتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخَشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ» (١). (*)

وَيَقُولُ الْحَقُّ -سُبْحَانَهُ- فِي شَأْنِ الصَّلَاةِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢].

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ أَي: قَدْ فَازُوا وَسَعِدُوا وَنَجَحُوا، وَأَدْرَكُوا كُلَّ مَا يُرَامُ، الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ مِنَ صِفَاتِهِمُ الْكَامِلَةِ: أَنَّهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ: هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ -تَعَالَى-، مُسْتَحْضِرًا لِقُرْبِهِ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ قَلْبُهُ، وَتَطْمِئِنُّ نَفْسُهُ، وَتَسْكُنُ حَرَكَاتُهُ، وَيَقِلُّ التَّفَاتَهُ مُتَادِّبًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، مُسْتَحْضِرًا جَمِيعَ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ أَوَّلِ صَلَاتِهِ إِلَى آخِرِهَا، فَتَنْفِي بِذَلِكَ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ الرَّدِيَّةُ، وَهَذَا رُوحُ الصَّلَاةِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا، وَهُوَ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ، فَالصَّلَاةُ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ١١٥، رَقْم ٤٢٥) وَ (٢ / ٦٢، رَقْم ١٤٢٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى»: (١ / ٢٣٠، رَقْم ٤٦١)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ٤٤٩، رَقْم ١٤٠١).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (١ / ٢٧١، رَقْم ٣٧٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْقُلُوبِ» - الْجُمُعَةُ: ٢٤ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٨ هـ

الَّتِي لَا خُشُوعَ فِيهَا وَلَا حُضُورَ قَلْبٍ وَإِنْ كَانَتْ مُجْزِيَةً مُثَابًا عَلَيْهَا فَإِنَّ الثَّوَابَ عَلَى حَسَبِ مَا يَعْقِلُ الْقَلْبُ مِنْهَا»^(١).

وَيَقُولُ -سُبْحَانَهُ- فِي شَأْنِ الزَّكَاةِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

«يَحْتُ الْبَارِي عِبَادَهُ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِمَّا كَسَبُوا فِي التِّجَارَاتِ، وَمِمَّا أَخْرَجَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْحُبُوبِ وَالثَّمَارِ، وَهَذَا يَشْمَلُ زَكَاةَ النَّقْدَيْنِ وَالْعُرُوضِ كُلِّهَا؛ الْمُعَدَّةَ لِلْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، وَالْخَارِجَ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْحُبُوبِ وَالثَّمَارِ، وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِهَا الْفَرَضُ وَالنَّفْلُ.

وَأَمَرَ -تَعَالَى- أَنْ يَقْصِدُوا الطَّيِّبَ مِنْهَا، وَلَا يَقْصِدُوا الْخَبِيثَ، وَهُوَ الرَّدِيُّ الدُّونُ، يَجْعَلُونَهُ لِلَّهِ، وَلَوْ بَدَلَهُ لَهُمْ مَنْ لَهُمْ حَقُّ عَلَيْهِ؛ لَمْ يَرْضَوْهُ وَلَمْ يَقْبَلُوهُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمُعَاذَةِ وَالْإِغْمَاضِ.

فَالْوَاجِبُ إِخْرَاجُ الْوَسْطِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَالْكَمَالُ إِخْرَاجُ الْعَالِي، وَالْمَمْنُوعُ إِخْرَاجُ الرَّدِيِّ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يُجْزَى عَنِ الْوَاجِبِ، وَلَا يَحْصُلُ فِيهِ الثَّوَابُ التَّامُّ فِي الْمُنْدُوبِ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]: فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ نَفَقَاتِ الْمُتَنَفِّقِينَ، وَعَنْ طَاعَاتِ الطَّائِعِينَ، وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِهَا وَحَثَّهُمْ عَلَيْهَا لِنَفْعِهِمْ، وَمَحْضِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ عَلَيْهِمْ.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٦٤٠).

وَمَعَ كَمَالِ غِنَاهُ وَسَعَةِ عَطَايَاهُ فَهُوَ الْحَمِيدُ فِيمَا يَشْرَعُهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ
الْمُوصِلَةِ لَهُمْ إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَحَمِيدٌ فِي أَفْعَالِهِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ عَنِ الْفَضْلِ
وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَحَمِيدٌ الْأَوْصَافِ؛ لِأَنَّ أَوْصَافَهُ كُلَّهَا مَحَاسِنٌ وَكَمَالَاتٌ لَا
يَبْلُغُ الْعِبَادُ كُنْهَهَا، وَلَا يُدْرِكُونَ وَصْفَهَا»^(١).

وَفِي شَأْنِ الصِّيَامِ يَقُولُ نَبِيُّنا ﷺ: «وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرَفْثْ وَلَا
يَصْحَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرٌ وَصَائِمٌ»^(٢). (*).

وَيَقُولُ -سُبْحَانَهُ- فِي شَأْنِ الْحَجِّ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

﴿يُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ عَلَى أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: وَجُوبُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَفَرَضِيَّتُهُمَا.

الثَّانِي: وَجُوبُ إِتْمَامِهِمَا بِأَرْكَانِهِمَا وَوَجِبَاتِهِمَا الَّتِي قَدْ دَلَّ عَلَيْهَا فِعْلُ النَّبِيِّ

ﷺ، وَقَوْلُهُ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(٤).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١١٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «بَيَانُ فَضَائِلِ الصَّوْمِ وَشَهْرِ رَمَضَانَ وَأَحْكَامِ بَيْنَ يَدَيْ
رَمَضَانَ» - الْإثْنَيْنِ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٧ هـ | ٢٨-٨-٢٠٠٦ م.

(٤) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٩٤٣/٢، رقم (١٢٩٧)، من حديث: جَابِرٍ، قَالَ: رَأَيْتُ

النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلِيَّ رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أُدْرِي
لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ».

وفي رواية للبيهقي في «السنن الكبرى»: ٥ / ١٢٥، بلفظ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ،...»

الثَّالِثُ: أَنَّ فِيهِ حُجَّةً لِمَنْ قَالَ بِوُجُوبِ الْعُمْرَةِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ يَجِبُ إِتْمَامُهُمَا بِالشَّرْعِ فِيهِمَا وَلَوْ كَانَا نَفْلًا.

الخَامِسُ: الْأَمْرُ بِإِتْقَانِهِمَا وَإِحْسَانِهِمَا، وَهَذَا قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَى فِعْلِ مَا يَلْزَمُ لَهُمَا.

السَّادِسُ: وَفِيهِ الْأَمْرُ بِإِخْلَاصِهِمَا لِلَّهِ -تَعَالَى-.

السَّابِعُ: أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ الْمُحْرِمُ بِهِمَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى يُكْمِلَهُمَا إِلَّا بِمَا اسْتَشْنَاهُ اللَّهُ، وَهُوَ الْحَضْرُ؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ أَي: مُنِعْتُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْبَيْتِ لِتَكْمِيلِهِمَا بِمَرَضٍ، أَوْ ضَلَالَةٍ، أَوْ عَدُوٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَضْرِ الَّذِي هُوَ الْمَنْعُ^(١).

وَيَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

«إِذَا أَتَمَّمْتُمْ عِبَادَتَكُمْ، وَفَرَعْتُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ؛ فَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالشَّاءِ عَلَيْهِ مِثْلَ ذِكْرِكُمْ مَفَاخِرَ آبَائِكُمْ وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

وَقَدْ شَمِلَ الْأَمْرُ بِالْإِتْقَانِ شَأْنَ تَكْفِينِ الْمَيْتِ وَتَجْهِيزِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ نَبِيُّنا ﷺ:

الحدِيث.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٨).

(٢) «التفسير الميسر» (ص: ٣١).

«إِذَا كَفَنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ»^(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمِنَ الْأُمْتِيَّةِ عَلَى الْإِتْقَانِ فِي الْأَعْمَالِ التَّعَبُّدِيَّةِ: الْإِتْقَانُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هُوَ أَعْظَمُ قِيَمَةٍ قَطُّ لِمَنْ كَانَ لَهُ حَافِظًا، لِمَنْ كَانَ لَهُ حَامِلًا، لِمَنْ كَانَ لِأَدَائِهِ مُجِيدًا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ الَّتِي فِي «الصَّحِيحِ»^(٢)، تَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ - الَّذِي يُجِيدُ تِلَاوَتَهُ، لَا يَتَعَثَّرُ فِي تِلَاوَتِهِ وَلَا يَتَوَقَّفُ - مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ - يَعْنِي: مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْمُطَهَّرِينَ الْمَبْرُورِينَ الْأَبْرَارِ -، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ - أَجْرُ التَّلَاوَةِ وَأَجْرُ الْمَشَقَّةِ الَّتِي يَلَاقِيهَا -». (*).



(١) أخرجه مسلم (٩٤٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) «صحيح مسلم» (رقم ٧٩٨)، وأخرجه أيضا البخاري «صحيحه» (رقم ٤٩٣٧)، بلفظ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ».

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦ / ٨٤): «الْمَاهِرُ: الْحَاقِظُ الْكَامِلُ الْحِفْظِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ بِجَوْدَةٍ حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ».

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَى الثَّانِي

إِتْقَانُ الْعَمَلِ سَبِيلُ الْأُمَّمِ الْمُتَحَضَّرَةِ

لَا شَكَّ أَنَّ إِتْقَانَ الْعَمَلِ سَبِيلُ الْأُمَّمِ الْمُتَحَضَّرَةِ الَّتِي يَحْمِلُ أَبْنَاءُهَا حُبُّهُمْ لِأَوْطَانِهِمْ، وَوَعْيُهُمْ بِدَوْرِهِمْ فِي رُقِيِّهِ وَتَقَدُّمِهِ عَلَى إِحْسَانِ الْعَمَلِ وَتَجْوِيدِهِ وَالتَّمْيِيزِ فِيهِ، وَهُوَ خَيْرُ سَبِيلٍ لِإِغْتِنَامِ قُدْرَاتِ الشَّبَابِ وَطَاقَاتِهِمْ فِيمَا يَخْدُمُ الدِّينَ وَالْوَطَنَ؛ فَكَثِيرٌ مِنْ مَظَاهِرِ التَّقَدُّمِ وَالتَّطَوُّرِ الَّتِي يَعْيشُهُ الْعَالَمُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ قَائِمٌ عَلَى أَكْتِفِ الشَّبَابِ الَّذِينَ أَسْهَمُوا بِجُهْدِهِمْ وَإِتْقَانِهِمْ فِي خِدْمَةِ أَوْطَانِهِمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّهُ لَا يَكْفِي الْفَرْدَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْعَمَلَ صَاحِحًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ صِحَّتِهِ مُتَّقِنًا؛ فَهَلْ يَعِي ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَيَسْعَوْنَ إِلَى جَعْلِهِ مِيزَةً لِشَخْصِيَّاتِهِمْ وَخُلُقًا يَتَّصِفُونَ بِهِ فِي حَيَاتِهِمْ، وَمَبْدَأً يَنْطَلِقُونَ مِنْهُ فِي مَوْسَسَاتِ الْعِلْمِ وَمِيَادِينِ الْعَمَلِ وَأَسْوَاقِ الصَّنَاعَةِ، لِيَصِلُوا بِهِ إِلَى الْإِنْجَازِ وَيُحَقِّقُوا بِسَبَبِهِ النَّجَاحَ؟! (١).

إِنَّ إِتْقَانَ الْعَمَلِ وَالتَّمْيِيزَ فِيهِ وَالتَّقِيَامَ بِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ مِنْ أَهَمِّ الْقِيَمِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ وَحَثَّ عَلَيْهَا وَرَعَّبَ فِيهَا، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ بِإِتْقَانٍ وَإِبْدَاعٍ؛ لِيَسِيرَ النَّاسُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ الْإِلَهِيِّ فِي أَعْمَالِهِمْ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

(١) باختصار من: «إِتْقَانُ الْعَمَلِ».

وَتَرَى الْجِبَالَ - أَيُّهَا الرَّائِي - تَظْنُهَا مُتَمَاسِكَةً لَا حَرَكَهَ لِذَرَّاتِهَا وَلَا سِيرَ لَهَا فِي جُمَّلَتِهَا، وَهِيَ فِي وَاقِعِ حَالِهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ ذَرَّاتُهُ تَحَرُّكًا دَاخِلِيًّا، وَيَسِيرُ فِي جُمَّلَتِهِ مِنْ مَوْقِعٍ إِلَى مَوْقِعٍ فِي السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْجِبَالِ وَسَائِرِ مَا فِي الْأَرْضِ؛ إِذْ ذَرَّاتُ كُلِّ شَيْءٍ تَتَحَرَّكُ حَرَكَاتٍ فِي دَوَائِرٍ وَأَقْفَالٍ مُتَقَفَلَةٍ.

وَجُمَّلَةُ الْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا تَمُرُّ سَائِرَةً فِي دَوْرَةٍ يَوْمِيَّةٍ حَوْلَ نَفْسِهَا وَفِي دَوْرَةٍ سَنَوِيَّةٍ حَوْلَ الشَّمْسِ.

صَنَعَ اللَّهُ ذَلِكَ صُنْعًا الَّذِي أَحْكَمَ صُنْعُهُ، وَجَعَلَهُ مُطَابِقًا لِلْمَقْصُودِ مِنْهُ. (*)

وَدِينُنَا الْحَنِيفُ لَا يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ مُجَرَّدَ الْعَمَلِ، إِنَّمَا يَطْلُبُ إِتْقَانَهُ وَإِحْسَانَهُ، يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وَقَالَ عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (٢). (*) (٢/).

إِنَّ دِينَنَا دِينَ الْإِتْقَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَقَدْ عُنِيَ عَنَايَةً بِالْغَةِ بِذَلِكَ، سَوَاءً فِي مَجَالِ الصَّنَاعَةِ أَمْ فِي مَجَالِ الْحِرْفِ وَالْمِهْنِ، ذَلِكَ أَنَّ الْأَمَمَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَنْهَضَ أَوْ تَتَقَدَّمَ بِلَا إِتْقَانٍ، وَدَوْرُنَا أَنْ نَجْعَلَ الْإِتْقَانَ ثَقَافَةَ الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ الْإِتْقَانُ هُوَ الْأَصْلُ فِي حَيَاتِنَا وَمَا عَدَاهُ هُوَ الشَّاذُّ الَّذِي لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ وَلَا يُمَكِّنُ الْقَبُولَ بِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سَلْسَلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النمل: ٨٨].

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٩٥٥)، مِنْ حَدِيثِ: شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَى ١٤٣٧ هـ: «فَوَائِدٌ مِنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ» - الْإِثْنَيْنِ

١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧ هـ | ١٢-٩-٢٠١٦ م.

وَأَمَّا إِتْقَانُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ وَالْمَهَنِ فَقَدْ حَثَّ عَلَيْهِ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا وَحَصَّ عَلَيْهِ نَبِيُّنَا ﷺ؛ فَالْعَمَلُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْإِنْسَانُ أَمَانَةً، وَاللَّهُ سَائِلُهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِإِدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَرْبَابِهَا وَأَصْحَابِهَا، وَيَبَيِّنُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ عَرَضَ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (١).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا فِي حَدِيثِ الْخَرَائِطِيِّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، كَمَا فِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» -، قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُهُ الصَّلَاةُ» (٢).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - عِظَمَ شَأْنِ الْأَمَانَةِ، وَجَعَلَ الْخِيَانَةَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صِفَاتِ الْمُنَافِقِ: «وَإِذَا أُوْتِمِنَ حَانَ» (٣).

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» في (اليبوع، ٨١: ٤، رقم ٣٥٣٥)، والترمذي في «جامعه» في (اليبوع، ٣٨، رقم ١٢٦٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ لغيره الألباني في «الإرواء» (١٥٤٤)، وفي «الصحيحه» (٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ترجمة ٢٠٤٩)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (رقم ١٧١)، وتمام في «فوائده» (رقم ١٩١)، والقضاعي في «مسنده» (رقم ٢١٦ و ٢١٧)، والضياء في «المختارة» (٤/ رقم ١٥٨٣)، من حديث: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ...»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيحه» (١٧٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في (الإيمان، ٢٤: ١، رقم ٣٣) وفي مواضع، ومسلم في (الإيمان، ٢٥: ٢، رقم ٥٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ».

فَالْخِيَانَةُ لَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِ الْمُخْلِصِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِ «وَإِذَا أُوتِمِنَ خَانَ»، وَهِيَ مِنْ أَحْسَسِّ وَأَحْقَرِ الصِّفَاتِ؛ خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ فِي مَقَامِ الْإِتِّمَانِ.

فَإِذَا اتَّيَمَّنَكَ إِنْسَانٌ فَكُنْتَ لَدَيْهِ أَمِينًا، فَاتَّيَمَّنَكَ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ مِنْ عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ؛ ثُمَّ خُتِّمَتْهُ -أَيُّ: خَانَهُ الْأَبْعَدُ-؛ فَالْخِيَانَةُ فِي مَقَامِ الْإِتِّمَانِ مِنْ أَحْسَسِّ وَأَحْقَرِ مَا يَكُونُ؛ لِذَلِكَ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَمَرَ بِإِدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَإِدَاءُ الْأَمَانَاتِ يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ، فَالْعِبَادَاتُ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهَا أَنْ تُنْتَقَصَ، فَإِذَا انْتَقَصَ الْإِنْسَانُ مِنْ الْعِبَادَةِ فَهُوَ خَائِنٌ.

وَالْمُعَامَلَاتُ أَمَانَةٌ، وَمَا يُسْتَأْمَنُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ أَمَانَةٌ، وَالسِّرُّ أَمَانَةٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ تَعَلَّقَ بِهِ أَمْرٌ وَنَهِيَ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهِ أَلَّا يُؤْتَى بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ.

فَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي عَمَلٍ، فَالْعَمَلُ الَّذِي اسْتَوْمِنَ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ، فَإِذَا خَانَ فِيهِ فَهُوَ خَائِنٌ، وَجَزَاءُ الْخَائِنِ مَعْلُومٌ (*).

وَمِمَّا يُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى إِثْقَانِ الْعَمَلِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ رُؤْيَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعَمَلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ﴾ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[التوبة: ١٠٥].

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «هَدَايَا الْمُوظَّفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ | ١٩ -

وَسَأَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ.

قَالَ جَبْرِيلُ: «فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ».

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (١). (*)

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! كَمَا حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى الْإِتْقَانِ فَقَدْ حَذَّرَ مِنَ التَّقْصِيرِ وَالْإِهْمَالِ،
وَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى النَّاسِ، وَمُرَاقِبٌ لَهُمْ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-:
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

مُطَّلِعٌ عَلَى الْعِبَادِ فِي حَالِ حَرَكَاتِهِمْ وَسُكُونِهِمْ، وَسِرِّهِمْ وَعَلْنِهِمْ، وَجَمِيعِ
أَحْوَالِهِمْ، مُرَاقِبًا لَهُمْ فِيهَا مِمَّا يُوجِبُ مُرَاقَبَتَهُ، وَشِدَّةَ الْحِيَاءِ مِنْهُ بِلُزُومِ تَقْوَاهُ. (*) (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

الَّذِي لَا يَنْتَفِنُ عَمَلَهُ وَلَا يُرَاقِبُ اللَّهُ -تَعَالَى- فِيهِ أَثْمٌ بِقَدْرِ مَا يَتَسَبَّبُ فِي ضَيَاعِ الْأَمْوَالِ،
وَإِهْدَارِ الطَّاقَاتِ، فَهَذَا وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِ لَا تَتَسَّقُ أَعْمَالُهُمْ مَعَ الدِّينِ وَلَا الْوَطَنِيَّةِ وَلَا
الضَّمِيرِ الْحَيِّ؛ إِذْ إِنَّ عَدَمَ الْإِتْقَانِ بِمِثَابَةِ غِشٍّ لِلْمُجْتَمَعِ، وَإِهْدَارٍ وَتَضْيِيعٍ لِثَرَوَاتِهِ
وَمُقَدَّرَاتِهِ، وَإِبْدَاءٍ لِحُلُقِ اللَّهِ الَّذِينَ نُهَيْنَا عَنْ إِيْدَانِهِمْ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، غِشًّا أَوْ تَدْلِيسًا.

(١) «صحيح مسلم»: (١ / ٣٦ - ٣٨، رقم ٨).

وحدِيثُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ رِوَايَةِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِ رِوَايَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» - (الْحَدِيثُ الثَّانِي: الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ
وَالْإِحْسَانُ)، الثَّلَاثَاءُ ٢٢ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥ هـ | ٢٦ - ١١ - ٢٠١٣ م.
(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَامَةِ السَّعْدِيَّةِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّسَاءِ).

«إِنَّ تَخَلُّفَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رَكْبِ الْحَضَارَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَانْتِشَارَ مَظَاهِرِ التَّكَاسُلِ وَالْخُمُولِ وَالتَّوَانِي فِي بَعْضِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَضَعْفَ إِتْقَانِهِمْ عَمَلَهُمْ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَهْوَانِهِمْ، وَضَعْفَ هِمَمِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ، وَفَسَادِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِوَحْيٍ مِنْ تَوْجِيهَاتِ دِينِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ أَبَدًا، فَقَدْ رَأَيْنَا فِيمَا سَبَقَ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْعَمَلِ وَالْجِدِّ وَالنَّشَاطِ وَالْإِتْقَانِ، مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى-، وَرَفْضِهِ مَظَاهِرَ الْكَسَلِ وَالْخُمُولِ، وَالتَّكْفِيفِ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، فَهَلَّا اسْتَيْقِظَ أُولَئِكَ الْخَامِلُونَ النَّائِمُونَ الْكَسَالَى مِنْ سُبَاتِهِمْ؛ لِيُحِقُّوا أُمَّتَهُمْ بِرَكْبِ الْحَضَارَاتِ، وَيَنْفُضُوا عَنْ كَاهِلِهَا مَظَاهِرَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ وَالتَّبَعِيَّةِ لِغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَّمِ؟!» (١).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَى الْعَمَلِ، وَيَحْتَثُّهُمْ عَلَى السَّعْيِ وَالتَّكْسِبِ، فَهُوَ دِينٌ يُؤَكِّدُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ، وَيَذُمُّ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ وَالْإِتْكَالِيَّةَ؛ إِذْ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلْإِسْتِرْخَاءِ وَالبَطَالَةِ، وَالإِعْتِمَادِ عَلَى الْآخَرِينَ وَاسْتِجْدَائِهِمْ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ.

فَالْإِسْلَامُ دِينُ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، يَحْتَثُّ الْجَمِيعَ عَلَى الإِنْتِاجِ وَالإِبْدَاعِ، وَيَهَيِّبُ بِفَنَاتِ الْمُجْتَمَعِ كَافَّةً أَنْ تَنْهَضَ وَتَعْمَلَ بِإِتْقَانٍ، وَيَقُومَ كُلُّ بَدْوَرِهِ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ؛ لِنَفْعِ الْأُمَّةِ وَإِفَادَتِهَا. (*)

(١) من مقال بعنوان: «إِتْقَانُ الْعَمَلِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِإِخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «انْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٩

مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ | ٢٥-٥-٢٠١٨ م.

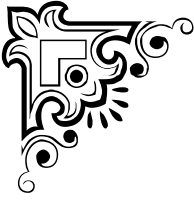
عِبَادَ اللَّهِ! فَلْيَجْتَهِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي آدَاءِ عَمَلِهِ عَلَى النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ جَعَلَ لِلنَّاسِ مَعَ النَّاسِ الْمَنَافِعَ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ. (* / ٢).

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَنْفُسِكُمْ -عِبَادَ اللَّهِ-، أَدُّوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (* / ٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «أَكْلُ الْحَلَالِ» - الْمُحَاضِرَةُ الثَّانِيَةُ.
 (* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «أَكْلُ الْحَلَالِ» - الْمُحَاضِرَةُ الْأُولَى.



الفهرس

- ٣ الْمُقَدِّمَةُ
- ٤ أَهْمِيَّةُ مَرَحَلَةِ الشَّبَابِ
- ٨ دَلَائِلُ الْإِهْتِمَامِ بِالشَّبَابِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
- ١١ اغْتِنَامُ عَهْدِ الشَّبَابِ بِالْعِبَادَةِ وَالْعَمَلِ
- ١٣ الْإِتْقَانُ فِي الْعِبَادَةِ
- ٢٠ إِتْقَانُ الْعَمَلِ سَبِيلُ الْأُمَمِ الْمُتَحَضِّرَةِ

